التربية الخاصة من منظور آراء ابن الجوزي

" دراسة تحليلية لكتابي أخبار الأذكياء وأخبار الحمقى والمغفلين "

د. جمال مثقال مصطفى القاسم

أستاذ علم النفس التربوي المساعد

قسم علم النفس التربوي - جامعة طيبة

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد فئات للتربية الخاصة واستخلاص تصنيف وخصائص محددة للموهوبين وللمعوقين عقليا مثبتة في كتابي ابن الجوزي، أخبار الأذكياء وأخبار الحمقى والمغفلين، وبالتحديد الإجابة عن أسئلة الدراسة التالية:

١. ما فئات التربية الخاصة التي أشار إليها ابن الجوزي ؟
٢. ما التصنيف الذي حدده ابن الجوزي للأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) ؟
٣. ما الخصائص التي حددها ابن الجوزي للأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) ؟
٤. ما مدى توافق آراء ابن الجوزي فيما يخص الأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) مع ميدان التربية الخاصة ؟
٥. ما مدى ارتباط الكتابين محل الدراسة بميدان التربية الخاصة؟

ولتحقيق هدف الدراسة تم استخدام أسلوب تحليل المحتوى للكتابين محل الدراسة، وقد أشارت نتائج الدراسة كإجابة عن السؤال الأول إلى أن ابن الجوزي قد حدد ثلاث فئات من فئات التربية الخاصة هي: الحمقى، المجانين، الأذكياء، وهي مسميات قديمة تدل على المعوقين عقليا وعلى الموهوبين، وكذلك أشارت النتائج كإجابة عن السؤال الثاني والثالث إلى وجود تصنيف محدد وخصائص محددة ذكرها ابن الجوزي للمعوقين عقليا والموهوبين، وكذلك فقد توافقت العديد من آراء ابن الجوزي مع مفاهيم ومبادئ وتصنيفات التربية الخاصة في الإجابة عن السؤال الرابع، وقد أشارت نتائج الدراسة في الإجابة عن السؤال الخامس إلى ارتباط الكتابين بميدان التربية الخاصة وأنه يمكن اعتبارهما مختصان في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية للبحث: التربية الخاصة ، الأذكياء (الموهوبين) ، الحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا).

Abstract:

This study aims at determining the categories of Special Education and to extract a specific classification and characteristics for talented and mentally retarded as mentioned, in the two books of Ibn Al-Jawzi namely: "Akhbar Al-Athkya'a" and "Akhbar Al-Hamqa wal-Mughaffaleen", particularly by answering the following questions:

1. What are the categories of Special Education pointed out by Ibn Al-Jawzi?
2. What is the classification determined by Ibn Al-Jawzi for intelligent (gifted) persons and idiots and dumps (mentally retarded)?
3. What are the characteristics determined by Ibn Al-Jawzi for intelligent (gifted) persons on the one hand and idiots and dumps (mentally retarded) on the other hand?
4. To what extent are the opinions of Ibn Al-Jawzi in respect of intelligent (gifted) persons on the one hand and idiots and dumps (mentally retarded) consistent with the field of Special Education?
5. To what extent are the two books, the subject matter of the study, related to the field of Special Education?

In fact, the method of analysis for the content of the two books, the subject matter of the study, was applied to achieve the purpose of the study. However, the findings of the study indicated ,according to the answer of the first question, that Ibn Al-Jawzi had determined three categories of Special Education categories: i.e. idiots, fools and intelligent persons, which are old titles referring to mentally retarded and gifted persons. Further, the findings have also indicated, according to the answers of the second and third questions, that there is a specific classification in addition to the existence of specified characteristics for both gifted and mentally retarded persons mentioned by Ibn Al-Jawzi. Furthermore, many opinions of Ibn Al-Jawzi match with the concepts, principals and classifications of Special Education, according to the answer of the forth question, while the findings of the study, and according to the answer made for the fifth question, denoted that the two books are related for which they may be considered specialized in the field of Special Education.

In fact, this study recommends the enhance of the research and to go deeper in the same by looking through the scientific production of the early Muslim thinkers in the educational fields, particularly, the Special Education field.

مقدمة :

تطرقت كتابات العلماء والمفكرين المسلمين القدماء ورسائلهم إلى العديد من القضايا والموضوعات التربوية، وقد احتوت تلك الكتابات أفكارا وآراء تقدمية فاقت عصرهم، أمثال برهان الإسلام الزرنوجي الذي ألف أول كتاب في التعلم والتعليم والذي أطلق عليه أسم " تعليم المتعلم كيفية التعلم" والذي يعتبر من الكتب الرائدة التي أشارة بشكل مباشر إلى ما يهتم به علم النفس التربوي حاليا، وكذلك الإمام أبو حامد الغزالي وما له من إسهامات كثيرة في التربية قدمها على شكل رسائل مثل "رسالة أيها الولد " والتي كانت تضم العديد من النصائح التربوية والأخلاقية لواحد من تلاميذه، وغيرهما من العلماء والمفكرين المسلمين (القاسم، ١٩٩٩).

وأمام الكم الهائل من ما كتبه العلماء والمفكرين المسلمين في القضايا التربوية وغيرها؛ بدأت في القرن الماضي توجهات نحو البحث في القرآن الكريم والحديث الشريف وفي إنتاج العلماء والمفكرين المسلمين القدماء؛ لاستخراج المبادئ والمفاهيم والتطبيقات التربوية وصولا إلى نظريات تربوية إسلامية. وقد أخذ المعهد العالمي للفكر الإسلامي وكذلك جمعيات البحث والدراسات الإسلامية على عاتقهم دعم الدراسات في هذا الاتجاه، حيث عقدت المؤتمرات المتخصصة و نشرت العديد من المؤلفات وأصدرت العديد من المجلات بقصد تيسير الإطلاع على التراث الإسلامي وفق التبويب العلمي الحديث. وقد أعطى المعهد العالمي للفكر الإسلامي الأسبقية لقضايا المنهجية الإسلامية وللعلوم السلوكية والتربوية حيث عقد المعهد مؤتمره العالمي الرابع في السودان بالتعاون بين المعهد وجامعة الخرطوم تحت عنوان: "المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية" وكان ذلك في العام (١٩٧٨). (سلسلة المنهجية الإسلامية "٢")

كما تأثرت العديد من الجامعات في الدول العربية والإسلامية بهذا الاتجاه ، مثل "جامعة الملك سعود" في المملكة العربية السعودية، التي عقدت في العام (١٣٩٨هـ) ندوة بعنوان " علم النفس والإسلام " قدمت فيها اثنتي عشرة دراسة ضمن ثلاثة مجالات (علم النفس في القرآن والحديث، علم النفس بين العلم الغربي والإسلام، والأعمال النفسية للمفكرين المسلمين). (الصنيع، ١٩٩٥)

وقد أسهم العديد من المختصين بالبحث والتأليف في موضوعات عديدة من وجهة النظر الإسلامية في إثراء هذا الاتجاه، مثل، كتاب " الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص" لعبد الكريم العثمان وكتاب "علم النفس التربوي في الإسلام" لشادية التل، وكتاب "التدين والصحة النفسية" لصالح الصنيع. وكتاب "المعوقون في الإسلام" لعلي الزهراني.

ونقف في هذه الدراسة أمام ظاهرة غير مألوفة من عالم برع في كمّ هائل من العلوم الشرعية كالحديث والتفسير والوعظ والإرشاد والتاريخ وعلم الكلام والتربية الإسلامية، وهذه الظاهرة تتمثل في الاهتمام بالكتابة حول الأفراد غير العاديين وتحديدهم ووصفهم وضرب الأمثلة عليهم، في حين أن جُلّ الاهتمام من العلماء كان في ذلك الحين منصبا على التأليف في العلوم الشرعية، والكتابة في تراجم الرجال لخدمة علم الحديث، وهذا العالم هو ابن الجوزي.

من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة كمحاولة للكشف عن آراء ابن الجوزي ومدى مطابقتها لمفاهيم وخصائص وتصنيف فئات الأفراد غير العاديين المشمولين ببرامج التربية الخاصة في الوقت الحالي، وماذا أضافت كتاباته من أشياء أخرى في هذا المجال من خلال تحليل كتابيه "أخبار الحمقى والمغفلين و"أخبار الأذكياء" بأسلوب علمي دقيق .

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة استخلاص أراء ابن الجوزي فيما يخص فئات التربية الخاصة التي وردت في كتابيه "أخبار الحمقى والمغفلين وأخبار الأذكياء"، وبالتحديد فئتي المعوقين عقليا والموهوبين؛ وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة التالية:

١. ما فئات التربية الخاصة التي أشار إليها ابن الجوزي ؟

٢. ما التصنيف الذي حدده ابن الجوزي للأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) ؟

٣. ما الخصائص التي حددها ابن الجوزي للأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) ؟

٤. ما مدى توافق أراء ابن الجوزي فيما يخص الأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) مع ميدان التربية الخاصة ؟

٥. ما مدى ارتباط الكتابين محل الدراسة بميدان التربية الخاصة؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحديد فئات للتربية الخاصة مثبتة في كتابي ابن الجوزي.

٢. استخلاص تصنيف محدد للموهوبين وللمعوقين عقليا مثبت في كتابي ابن الجوزي.

٣. استخلاص خصائص محددة للموهوبين وللمعوقين عقليا مثبت في كتابي ابن الجوزي.

٤. مقارنة أراء ابن الجوزي المستخلصة من كتابي ابن الجوزي فيما يخص الموهوبين والمعوقين عقليا مع مبادئ التربية الخاصة الحديثة.

أهمية الدراسة:

تعددت آراء المفكرين والعلماء المسلمين القدماء التي تناولت النواحي التربوية بشكل عام، كما كثرت الدراسات التحليلية لآرائهم، ولكن ما يكسب هذه الدراسة اهميتها هو أن ابن الجوزي من خلال أرائه حول فئات التربية الخاصة في كتابيه "اخبار الأذكياء ، وأخبار والحمقى والمغفلين" كأنه كانت لديه رؤية استباقية للتوجهات العالمية الحديثة في تصنيف ذوي الاحتياجات الخاصة إلى بعدين رئيسين هما المعوقين والموهوبين، لذا، تأتي هذه الدراسة لتلقي الضوء على أراء ابن الجوزي من خلال دراسة تحليلية لكتابيه اللذين تكلم فيهما عن بعض فئات التربية الخاصة (الموهوبين والمعوقين عقليا)؛ في محاولة للخروج بمفهوم وبتصنيف وبخصائص محددة لتلك الفئتين، وكذلك محاولة تقييم الآراء الواردة في هذين الكتابين من خلال مقارنتها بمبادئ التربية الخاصة الحديثة، عدا أن كتاباته في هذا الاتجاه لم تحظ بالتحليل التربوي المطلوب.

الإطار النظري والدراسات السابقة :

التربية الخاصة:

تعتبر التربية الخاصة من الميادين التربوية الحديثة في مجال العلوم التربوية، حيث يشير مفهوم التربية الخاصة إلى مجموعة من الخدمات والبرامج التربوية التي تقدم لمجموعة محددة من الطلاب الذين يواجهون مشكلات تعليمية تفوق قدرة مدرس الصف العادي على مواجهتها، وتتطلب طرقا وأساليب ووسائل وأدوات خاصة؛ بهدف

تعديل وتكييف كافة الظروف البيئية المحيطة بالفرد ذي الحاجة الخاصة وذلك لمساعدته على تحقيق كل ما باستطاعته تحقيقه في البيئة التي يعيش فيها.(القريوتي، السرطاوي، الصمادي. ٢٠٠١)

واعتمادا على مفهوم التربية الخاصة فإن عددا كبيرا من الأفراد تشملهم خدمات التربية الخاصة ويستفيدون من برامجها، ومن هنا فلابد من تعريف الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث يمكن تعريفهم بأنهم الأفراد الذين يختلفون في أدائهم بشكل ملحوظ عن أداء أقرانهم، أو ما هو متوقع من أقرانهم، والذين يمكن اعتبارهم مختلفين فقط عندما تدعو الضرورة لوضع برامج تربوية خاصة لتلبية احتياجاتهم. وهذا يشمل الأطفال المنحرفين عن الوسط بالاتجاهين السلبي والإيجابي من المعوقين والموهوبين. (Kirk & Gallagher, 1983).

ووصولا إلى أفضل تحديد لفئات التربية الخاصة؛ فقد صنّف هيوارد و أورلانسكي (Heward & Orlansky,1983) فئات التربية الخاصة إلى " التخلف العقلي، صعوبات التعلم، الاضطرابات السلوكية، اضطرابات التواصل، الإعاقة السمعية، الإعاقة البصرية، الإعاقات الصحية والجسمية، الإعاقات المتعددة، والموهوبون". (p.2)

وتقوم التربية الخاصة على ثلاثة أسس رئيسة هي:

١. الأساس الديني والأخلاقي، وهو الذي يكفل لذوي الاحتياجات الخاصة حقوقهم من خلال التشريع الإسلامي ، وكذلك من خلال الدساتير والمواثيق التي انطلقت من الجانب الإنساني والأخلاقي.

٢. الأساس القانوني، وهي القوانين والتشريعات التي انبثقت عن الدساتير والتي تكفل بشكل مباشر حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، كحقهم في التعلم والعمل.

٣. الأساس الاقتصادي، والذي يشير إلى أهمية جعل ذوي الاحتياجات الخاصة منتجين، وتوفير كافة الفرص لنجاحهم ودعم مشاريعهم اقتصاديا. (القريوتي، السرطاوي، الصمادي. ٢٠٠١)

وهناك العديد من المبادئ التي تتمثل في الأبعاد التالية:

١. الفروق الفردية بين الأفراد وداخل الفرد نفسه، وهذا المبدأ الذي يؤكد على حق ذوي الاحتياجات الخاصة في التعلم كل وفق قدراته.

٢. البدائل التربوية التي توفر لذوي الاحتياجات الخاصة أفضل بيئة تعليمية كالمدرس المستشار، والمعلم المتنقل، وغرفة المصادر، والفصل الخاص، والمدرسة الخاصة ، والدمج الأكاديمي.

٣. الكشف والتدخل المبكر لتحقيق أهداف التربية الخاصة في الوقاية والعلاج.

٤. تقوم التربية الخاصة على مبدأ عمل الفريق في تشخيص وتحويل وتعليم ومتابعة ذوي الاحتياجات الخاصة.

٥. مبدأ إشراك أولياء الأمور في تربية وتعليم ورعاية أطفالهم ، مما يسهم في النمو السوي لهم، وتعميق الروابط بين ذوي الاحتياجات الخاصة وأسرهم. (Kirk & Gallagher, 1983)

التعريف بابن الجوزي:

يُعرف ابن الجوزي بأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، والذي يعود نسبه إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- ، ولد في بغداد عام (٥١٠ هـ)، ولقب بابن الجوزي نسبة إلى منطقة في البصرة يقال لها جوزه أو محلة في البصرة يقال لها محلة الجوز، وتوفي في رمضان في العام (٥٩٧هـ) عن عمر يناهز (٨٧) عام. (صالح، ١٩٨٦).

ذكرت (فوال، ٢٠٠٦) في ترجمتها لابن الجوزي أنه عاش يتيما؛ فقد مات والده وهو في عمر الثالثة، فأرسلته عمته بعدما ترعرع إلى خاله فاعتنى به وأسمعه الحديث وحفّظه القرآن، ثم تعلم على يدي العديد من العلماء "كالجوالقي" في المدرسة النظامية في بغداد. وقد برز في العديد من العلوم وانفرد بها، وجمع ما يقرب من (٣٠٠) من المصنفات الكبار والصغار، وكتب بيديه (٢٠٠) مجلدة، وله في العلوم كلها اليد الطولى من تفسير ووعظ وإرشاد وحديث وتاريخ وحساب وطب وفقه ولغة ونحو ونظر في النجوم. كما حظيت كتاباته بالتحقيق والتحليل والتفسير خاصة الدينية والأخلاقية منها.

واتصف ابن الجوزي بالتدين منذ الصغر، فقلما كان يخالط الناس، ولا يخرج من بيته إلاّ إلى صلاة الجمعة، ولا يلعب مع الصبية . وقد وصفه ابن جبير في أحد مجالسه بأنه " آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيس الحنبلية والمخصوص بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمّة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر". (فوال، ٢٠٠٦، ص، ٩)

لقد اهتم ابن الجوزي بشكل غير معهود من علماء الدين الإسلامي في ذلك العصر الذي عاش فيه بالكتابة في كافة الفنون والعلوم ومنها العلوم التربوية وعلى الأخص في ميدان لم يكن يعرفه تحت هذا المسمى حينها، ألا وهو ميدان التربية الخاصة (تربية الموهوبين وتربية المعوقين). وما لفت نظر الباحث إلى هذا الأمر تأليفه لكتابين هما " كتاب أخبار الحمقى والمغفلين" و" كتاب أخبار الأذكياء" واستخدامه لمسميين قديمين للمعوقين عقليا وللموهوبين كعنوانين للكتابين، وكذلك ما كتبه حول الحمقى والمغفلين وحول الأذكياء في كتابيه، فكأنه قد كانت له نظرة استباقية حول بعض القضايا في ميدان التربية الخاصة فاهتمامه بالأذكياء والحمقى والكتابة عنهما؛ يوحي للوهلة الأولى بأنه قد اهتم بمن شذوا عن متوسط الأفراد العاديين، وكأنه يعتمد في تصنيفه للأفراد من حيث سوائهم أو عدم سوائهم على المعيار الإحصائي والذي بدوره يعتمد على توزيع الأفراد من حيث نسب ذكائهم على منحنى

التوزيع الاعتدالي، فالمعوقون عقليا يقعون في أحد طرفي المنحنى والموهوبون في الطرف الأخر. كما أن هناك تشابها كبيرا في المنهجية التي اتبعها في تأليف الكتابين ؛ وكأنهما مختصان في نفس الميدان، خلافا لمئات الكتب الأخرى التي ألفها.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التحليلية التي بحثت في الآراء التربوية للعلماء والمفكرين المسلمين الأوائل، التي هدفت إلى الوصول إلى منظومة تربوية إسلامية في المجالات المختلفة للعلوم التربوية كعلم النفس والصحة النفسية، ولم يتم تحليل أية كتابات لهم في ميدان التربية الخاصة حسب علم الباحث. وسوف نستعرض ثلاثة دراسات تخدم هدف هذه الدراسة.

أجرى (صالح، ١٩٨٦) دراسة نشرت على شكل كتيّب بعنوان "ابن الجوزي وتربية العقل" حيث هدفت هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم ابن الجوزي للعقل، وتحديد مفهوم الذكاء والحمق لدى ابن الجوزي، ثم تحديد العلاقة بين العقل والذكاء من وجهة نظر ابن الجوزي. اتبع الباحث أسلوب تحليل المحتوى لكتابه " أخبار الأذكياء"، ثم قام في نهاية الدراسة بتقويم آراء ابن الجوزي والتعليق عليها.

كما أجرى (القاسم،١٩٨٩) دراسة كانت الأولى لتأصيل ميدان التربية الخاصة بعنوان " تربية المعوقين في القرآن الكريم والحديث الشريف". اتبع الباحث أسلوب تحليل المحتوى للآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وقد توصلت الدراسة في نتائجها إلى استخرج تسعة مبادئ أساسية للتربية الخاصة موزعة على ثلاثة أبعاد، بُعد يحد علاقة الفرد المعوق بالله ، بُعد يحد علاقة الفرد المعوق بالمجتمع وبُعد يحد علاقة الفرد المعوق بذاته. ثم قارنها بالمبادئ الحديثة للتربية الخاصة، حيث تشابهت معها إلى حد بعيد، وتفوقت بعض المبادئ المستخرجة من القرآن الكريم والحديث الشريف على مبادئ التربية الخاصة.

وفي الدراسة التي اجراها (الصنيع، ١٩٩٥) بعنوان " تأصيل المقررات الدراسية في علم النفس" التي هدفت إلى استخلاص أهم المسلمات المبثوثة في ثنايا نظريات علم النفس الغربي، وتوضيح أهم المسلمات العامة في التأصيل الإسلامي لعلم النفس كبدائل يعتمد عليها عالم النفس المسلم في دراسته للظواهر النفسية، وتقديم أسلوبا مقترحا لمعالجة مفردات مقررات علم النفس، لحث الأساتذة على القيام بتأصيل المقررات التي يقومون بتدريسه. اتبع الباحث أسلوب تحليل المحتوى وصولا إلى مسلمات التأصيل الإسلامي العامة لعلم النفس، حيث توصل إلى تسع مسلمات (التوحيد، أصل الإنسان، مكونات الإنسان،غاية وجود الإنسان، وظيفة الإنسان، وحدة المعرفة، وحدة الحياة، السنن الكونية، السنن الاجتماعية). واقترحت الدراسة نموذجا لمقرر علم النفس التربوي متمشيا مع مسلمات التأصيل الإسلامي العامة لعلم النفس التي توصلت إليها الدراسة.

محددات الدراسة:

تتمثل محددات الدراسة في:

أولا: اعتمادها على كتابي ابن الجوزي التاليين:

١. كتاب "أخبار الأذكياء"، تحقيق الداني بن منير آل زهوي (٢٠٠٦)، والمنشور من قبل المكتبة العصرية: بيروت.

٢. كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين"، تحقيق د. عزيزة فوال (٢٠٠٦)، والمنشور من قبل دار الكتاب العربي : بيروت. وهما في نفس الوقت مصادر الدراسة.

ثانيا: اعتماد النص الصريح - إن ورد - في الكتابين والذي يشير إشارة مباشرة إلى مفاهيم أو مبادئ أو خصائص أو تصنيف لفئات التربية الخاصة.

التعريفات الإجرائية:

١. **الحمق والتغفيل والجنون:** هي مصطلحات استخدمت سابقا للإشارة إلى الإعاقة العقلية، وذلك قبل تغيير المسميات السلبية لذوي الاحتياجات الخاصة.

٢. **فئات التربية الخاصة:** هي التخلف العقلي، صعوبات التعلم، الاضطرابات السلوكية، اضطرابات التواصل، الإعاقة السمعية، الإعاقة البصرية، الإعاقات الصحية والجسمية، الإعاقات المتعددة، والموهوبون.

منهجية الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة المنهج النوعي في البحث، وذلك بإتباع أسلوب تحليل المحتوى (Content Analysis) بكافة ضوابطه العلمية المتبعة في هذا النوع من الأبحاث والدراسات.

إجراءات الدراسة:

سارت إجراءات الدراسة منسجمة مع أسلوب تحليل المحتوى وفقا للخطوات التالية:

١. اعتماد كتاب " أخبار الأذكياء"، وكتاب "أخبار الحمقى والمغفلين"، والتأكد من تحقيقهما بشكل علمي دقيق.

٢. قراءة الكتابين بأسلوب تحليلي، وذلك:

(أ) للتأكد من مدى ارتباط الكتابين بموضوع الدراسة.

(ب) لتحديد كافة النصوص الصريحة فيما يخص الإجابة عن أسئلة الدراسة.

(ج) لتحديد كافة النصوص التي أشارت من حيث محتواها إلى فئة من فئات التربية الخاصة، والتي أدرجها ابن الجوزي تحت فئة الحمقى والمغفلين (الإعاقة العقلية)، أو الأذكياء (الموهوبون).

٣. استخراج كافة النصوص الصريحة وتصنيفها في قوائم خاصة وفقا لارتباطها بكل سؤال من أسئلة الدراسة.

٤. إعادة ترتيب أراء ابن الجوزي بما يتناسب ومفاهيم التربية الخاصة.

٥. مقارنة أراء ابن الجوزي بمفاهيم ومبادئ وخصائص وتصنيفات المعوقين عقليا والموهوبين في ميدان التربية الخاصة .

٦. عرض نتائج تحليل الكتابين على عدد من المتخصصين في ميدان التربية للتأكد من مدى ارتباط أراء ابن الجوزي بميدان التربية الخاصة.

نتائج الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى استخراج مفاهيم وفئات التربية الخاصة، واستخلاص تصنيف وخصائص لتلك الفئات ذكرها ابن الجوزي في كتابيه "اخبار الأذكياء" و"اخبار الحمقى والمغفلين"، ثم مقارنتها بمبادئ التربية الخاصة الحديثة. وللإجابة عن أسئلة الدراسة فقد قام الباحث بتحليل محتوى الكتابين، وفيما يأتي عرض للنتائج وفقا لأسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما فئات التربية الخاصة التي أشار إليها ابن الجوزي ؟

أشار ابن الجوزي بشكل مباشر إلى ثلاث فئات من فئات التربية الخاصة، وهي:

١. الحمقى والمغفلين: - وهما يشيران إلى فئة واحدة حسب تعريفه لهما - "معنى الحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد

ورويته في الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيح ". (أخبار الحمقى والمغفلين ص٢٨)

٢. المجانين." بخلاف المجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، والمجنون أصل إشارته فاسدة، فهو يختار ما لا يُختار". (أخبار الحمقى والمغفلين ص٢٨)

٣. الأذكياء." وحِدّة الذكاء: جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه، بمعنى سرعة الفهم وحدته، ...، وهو تمام الفهم، ...، ويقال فلان ذكي، معناه: كامل الفطنة تامّها". (أخبار الأذكياء. ص١٥)

السؤال الثاني: ما التصنيف الذي حدده ابن الجوزي للأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا)؟

لقد اعتمد ابن الجوزي في كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" وكتابه "أخبار الأذكياء" على تصنيف محدد يخص فئة الحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) وفئة الأذكياء (الموهوبين)، وهذا التصنيف هو:

أولا: فئة الأذكياء (الموهوبين):

١. تصنيف من حيث الصورة (الشكل الخارجي):

الخَلق المعتدل والبنية المتناسبة (المتناسقة)، فالأفراد ذوي البنية السليمة هم من الأذكياء وتشير إلى هذه النقطة عبارته التالية: " الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة ". (ص، ١٧)

٢. تصنيف من حيث الأقوال والأفعال:

يتميز الأذكياء من وجهة نظر ابن الجوزي بقدرتهم على:

(أ) اختيار الأنسب من الأقوال والأفعال بعد التفكر فيها (النظر في الفضاء).

(ب) اختيار الأنسب من مأكل ومشرب وملبس بعد التفكر فيها (النظر في الفضاء).

(ج) السكوت والسكون والحركات اللائقة المتناسقة وخفض البصر.

(د) مراقبته للعواقب وترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يمكن وقوعه.

تشير إلى النقاط السابقة عبارته التالية:" يستدل على عقل العاقل، بسكوته، وسكونه، وخفض بصره، وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب، فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الفضاء، فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه". (ص ١٨).

ثانيا: فئة الحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا):

١. تصنيف من حيث الصورة (الشكل الخارجي):

(أ) صغر حجم الرأس وعدم انتظام شكله. " إذا كان الرأس صغيرا رديء الشكل دل على رداءة في هيئة الدماغ " (ص، ٣٤)

(ب) عدم التناسق في بنية الجسم. " ومن كانت بنيته غير متناسبة كان رديئا حتى في همّته وعقله مثل الرجل العظيم البطل، القصير الأصابع، المستدير الوجه، اللحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين " (ص،٣٤) .

٢. تصنيف من حيث الأفعال:

(أ) عدم تقديره للعواقب وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره. " من ذلك ترك النظر في العواقب، وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره" (ص٣٨)

(ب) الخلو من العلم مع تقدم العمر. " خلوه من العلم أصلا، فإن العقل لا بد أن يحرك إلى اكتساب شيء من العلم وإن قلّ " (ص٣٨)

(ج) عدم إحسان القول وعدم فهم القول وفقهه. " وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه" (ص٤٠)

(د) فقدانه للسلوك الاجتماعي التكيفي. " يعرف الأحمق بست خصال: الغضب من غير شيء، الإعطاء في غير حق، والكلام في غير منفعة، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس". (ص٤٠)

السؤال الثالث: ما الخصائص التي حددها ابن الجوزي للأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) ؟

احتوى الكتابان على العديد من الخصائص للموهوبين وللمعوقين عقليا، وهي التي استخدمها في تصنيفه لهم، وقد أشير إليها في الإجابة عن السؤال السابق، وهي:

أولا: خصائص الأذكياء (الموهوبين):

١. الخصائص المعرفية: سرعة الفهم وحدته (دقته)، وتمام الفطنة، والتفكر والتدبر في الأشياء.

٢. الخصائص الجسدية والصحية: الخلق المعتدل والبنية المتناسبة، واختياره الأنسب من مأكل ومشرب وملبس، وترك ما يخاف ضرره.

٣. الخصائص الاجتماعية: اختياره الأنسب من الأقوال والأفعال، والسكوت والسكون والحركات اللائقة المتناسقة وخفض البصر، ومراقبته للعواقب، واستعداده لما يمكن وقوعه.

ثانيا: خصائص الحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا):

١. الخصائص المعرفية: الخلو من العلم مع تقدم العمر (عدم قدرته على التعلم)، وعدم إحسان القول وعدم فهم القول وفقهه.

٢. الخصائص الجسدية والصحية: عدم التناسق في بنية الجسم، وظهور التشوهات في شكل الجسم كصغر حجم الرأس وعدم انتظام شكله.

٣. الخصائص الاجتماعية: الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام في غير منفعة، والتكلم بكل ما يخطر على قلبه.

السؤال الرابع: ما مدى توافق أراء ابن الجوزي فيما يخص الأذكياء (الموهوبين) والحمقى والمغفلين (المعوقين عقليا) مع ميدان التربية الخاصة؟

تبين بعد تحليل آراء ابن الجوزي أنها توافقت مع العديد من مبادئ ومفاهيم التربية الخاصة الحديثة والتي تخص المعوقين عقليا والموهوبين، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولا: الإعاقة العقلية:

١. من حيث المفهوم:

لقد كان مفهوم ابن الجوزي للحمقى والمغفلين والمجانين يتصف بالعمومية فقد ربط كفاءة الفرد العقلية بمعرفة وفهم الهدف والوسيلة وهذا المفهوم يمكن تطبيقه على كافة النواحي التي تخص كفاءة المعوق عقليا سواء الاجتماعية أو التربوية، أو غيرها، فيقول: " معنى الحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق

فاسد ورويته في الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيح بخلاف المجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، والمجنون أصل إشارته فاسدة، فهو يختار ما لا يُختار". (أخبار الحمقى والمغفلين.ص،٢٨)

أما المفاهيم الحديثة فقد تنوعت وفقا للاتجاهات النظرية التي انبثقت عنها، وعبرت عنها بتعريفات عديدة مثل، تعريف هيبر (Heber,1961) وهو أكثرها قبولا، والذي اعتمدته الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي (AAMD)، والذي نصّ على أنه " يشير التخلف العقلي إلى انخفاض عام في الأداء العقلي، يظهر خلال مرحلة النمو، مصحوبا بقصور في السلوك التكيفي".(الروسان، ١٩٩٨). وكذلك تعريف دول (Doll) الذي أكد على مفهوم الكفاية الاجتماعية كأساس للحكم على الفرد أنه متخلف عقليا " الفرد المتخلف عقليا هو الذي يتصف بعدم الكفاية الاجتماعية، وتدني القدرة العقلية، ويظهر خلال فترة النمو، ويستمر حتى مرحلة النضج، ويعود إلى أسباب تكوينية وأنه غير قابل للشفاء ". (القريوتي، السرطاوي، الصمادي، ٢٠٠١).

يظهر هنا تقارب بين مفهوم ابن الجوزي والمفاهيم الحديثة خاصة أنها تركز على فكرة الكفاءة في السلوك والقدرة على الوصول إلى الهدف. إن الغلط في الوسيلة أو فقدانها والخلل في الهدف أو فقدانه في تعريف ابن الجوزي للحمقى والمجانين يشير إلى عدم الكفاية سواء كانت اجتماعية أو تربوية أو غيرها، وكذلك يظهر ذلك جليا في التعريفات الحديثة، كما في تعريف دول (Doll,1941) وتعريف هيبر (Heber,1961) السابقين.

٢. من حيث التصنيف :

اقترح ابن الجوزي تصنيفا مبنيا على معيار الشكل الخارجي ومعيار الخصال والأفعال، " صفات الأحمق تقسم إلى قسمين: أحدهما: من حيث الصورة ويضم (١. صغر حجم الرأس وعدم انتظام شكله ٢. عدم التناسق في بنية الجسم. " ومن كانت بنيته غير متناسبة كان رديئا حتى في همّته وعقله مثل الرجل العظيم البطل،

القصير الأصابع، المستدير الوجه، اللحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين)، والثاني: من حيث الخصال والأفعال ويضم (١.الخلو من العلم مع تقدم العمر ٢.عدم تقديره للعواقب وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره ٣. عدم إحسان القول وعدم فهم القول وفقهه ٤. فقدانه للسلوك الاجتماعي التكيفي). (أخبار الحمقى والمغفلين،ص٣٤)

اما التصنيفات الحديثة للمعوقين عقليا فقد استخدمت معايير متنوعة، فهناك التصنيف الطبي والقائم على أساس معيار سبب الإعاقة (وراثية ، بيئية)، والتصنيف على أساس شدة الإعاقة او نسبة الذكاء (إعاقة عقلية بسيطة ، إعاقة عقلية متوسطة، أعاقة عقلية شديدة) والتصنيف وفقا لمعيار المظهر الخارجي والذي يضم : (١. متلازمة داون: " ويتميزون بالوجه المستدير، العيون الضيقة ذات الاتجاه العرضي، صغر حجم الأنف، كبر حجم الأذنين، قصر الأصابع والأطراف والرقبة، وغلظة حجم اللسان وخروجه من الفم أحيانا " ٢. صغر حجم الراس ٣. كبر حجم الراس ٤. القماءة أو القصاع : القصر المفرط المصاحب للإعاقة العقلية ٥. الاستسقاء الدماغي ٦. حالات الاضطراب الغذائي "PKU ، والجلاكتوسيما")، والتصنيف التربوي والذي يضم:(بطء التعلم، القابلين للتعلم، القابلين للتدريب، الاعتماديين)، وأخيرا التصنيف على أساس السلوك التكيفي، والذي يضم: (التخلف العقلي البسيط، التخلف العقلي المتوسط، والتخلف العقلي الشديد). (يحيى، عبيد، ٢٠٠٥).

يظهر هنا تقارب بين تصنيف ابن الجوزي وبعض التصنيفات الحديثة كالتصنيف القائم على معيار المظهر الخارجي، والذي استخدمه ابن الجوزي بنفس المسمى، وكذلك بعض تفريعاته، "كمتلازمة داون" حيث وصف المظهر الخارجي متقاربا جدا من الدراسات الحديثة، وكذلك حالة "صغر حجم الراس" الذي ذكره ، فهو مظهر مدرج ضمن تفريعات تصنيف المظهر الخارجي في التصنيفات الحديثة. عدا أن ذكر ابن الجوزي لمبدأ الفروق الفردية والتفاوت بين الناس لتبيين أن الحمق درجات " فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوا منه؛ فلهذا يتفاوت الحمق"؛ ينسجم مع التصنيفات الحديثة القائمة على أساس شدة الإعاقة.

٣. من حيث الخصائص:

لقد حدد ابن الجوزي عددا من الخصائص للمعوقين عقليا تمثلت في (١. الخصائص المعرفية : الخلو من العلم مع تقدم العمر، وعدم إحسان القول وعدم فهم القول وفقهه. ٢. الخصائص الجسدية والصحية : عدم التناسق في بنية الجسم. ٣. الخصائص الاجتماعية: الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام في غير منفعة، والتكلم بكل ما يخطر على قلبه).

أشارت نتائج الدراسات الحديثة إلى عدة خصائص يتميز بها المعوقون عقليا، فمن حيث الخصائص المعرفية : النقص الواضح في القدرة على العلم مقارنة مع العاديين المتناظرين في العمر الزمني، والضعف الواضح في الانتباه والتذكر. أما من حيث الخصائص اللغوية : فإن ضعف القدرات العقلية ينتج العديد من الاضطرابات اللغوية مثل، التأتأة ، قلة عدد المفردات، ضعف بناء القواعد اللغوية، وفقدان القدرة على فهم اللغة أو إصدارها. أما من حيث الخصائص الجسدية : التأخر في النمو الجسدي، ضعف في الأداء الحركي، ظهور تشوهات جسدية. أما من حيث الخصائص الاجتماعية : فالميزة الرئيسة هي قصور في سلوك التكيف الاجتماعي، وعدم القدرة على بناء علاقات اجتماعية ايجابية، الغضب والعدوانية.((يحيى، عبيد، ٢٠٠٥)، (القريوتي، السرطاوي، الصمادي، ٢٠٠١)، (الروسان، ١٩٩٨) .

يظهر تقارب بين بعض الخصائص التي ذكرها ابن الجوزي وبعض الخصائص التي أشارت إليها الدراسات الحديثة : كعدم القدرة على التعلم مع تقدم العمر، وفقدان القدرة على فهم اللغة أو إصدارها، وعدم التناسق في بنية الجسم وظهور التشوهات الجسدية، وسرعة الغضب.

ثانيا: الموهوبون:

١. من حيث المفهوم:

تمثل مفهوم ابن الجوزي للأذكياء في حدة وسرعة وكمال في القدرات العقلية، " حِدّة الذكاء: جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه، بمعنى سرعة الفهم وحِدّتهُ، وهو تمام الفهم، ويقال فلان ذكي، معناه: كامل الفطنة تامّها. (أخبار الأذكياء. ص،١٥)

لقد تعددت التعريفات الحديثة للموهوبين وفقا للمفاهيم التي تعبر عن تنوع الاتجاهات التي فسرت مفهوم الموهبة والموهوبين كذلك، فمنها من اعتبر نسبة الذكاء هي المعيار كالتعريفات السيكومترية التي اتفقت على أن الطفل الموهوب هو " ذلك الفرد الذي يتميز بقدرة عقلية عالية حيث تزيد نسبة ذكائه عن (١٣٠) درجة، كما يتميزون بقدرة عالية على التفكير الإبداعي" (الروسان، ١٩٩٨). أو هو "من يتمتع بذكاء رفيع يضعه في الطبقة العليا التي تمثل أذكى (٢٪) ممن هم في سنه من الأطفال، أو هو الطفل الذي يتسم بموهبة بارزة في أية ناحية". (عبيد، ٢٠٠٠). ومنهم من نظر للموهبة على أنها توافر مجموعة من القدرات أو الخصائص فقد اقترح رنزولي (Renzulli) عام ١٩٨٧ أن الموهبة هي حصيلة التفاعل بين الخصائص التالية: قدرة عقلية عامة فوق المتوسط، مستوى عالي من الالتزام بالمهمة، ومستوى عالي من الإبداع. (القريوتي، السرطاوي، الصمادي.٢٠٠١).

عند المقارنة بين مفهوم ابن الجوزي والمفاهيم الحديثة للموهوبين يتبين أن هناك توافق فقط بين مفهومه والمفهوم القائم على أساس أن نسبة الذكاء هي معيار تحديد الموهوبين، لان ما ذكره من خصائص للأذكياء في التعريف يشير إلى ضرورة توافر نسبة ذكاء عالية لدى الفرد ليقوم بتلك العمليات العقلية (سرعة ودقة وكمال الفهم للمشكلات). وتذكر (عبيد، ٢٠٠٠) أن الملاحظ والمتتبع لحركة تعلم الطفل والمتفوق وتطور علم نفس الموهبة يصل إلى أن الدراسات العلمية المبكرة للموهبة والإبداع قد ارتبطت بقوة مع نظرية الذكاء من جهة وبطرق قياسه من جهة أخرى.

٢. من حيث التصنيف:

تشير الدراسات إلى أنه لا توجد تصنيفات محددة معتمدة للموهوبين، فقد لجأ كل اتجاه إلى تحديد العديد من الصفات والمهارات للتعرف على الموهوب وتحديد أهليته ليصنف من الموهوبين، فمنها من اعتبر ذي الذكاء المرتفع وفقا لمقاييس الذكاء موهوبا كتيرمان (Terman) وجيلفورد (Guilford)، ومنهم من اعتبر بعض امتلاك الفرد لبعض القدرات كالتفوق الأكاديمي والتفوق الإبداعي والتفوق النفسي – الاجتماعي والتفوق الفني – الحركي؛ يصنفه على أنه موهوب ومتفوق. (الخطيب، الحديدي،١٩٩٧).

لقد صنف ابن الجوزي الموهوبين وفقا للمظهر الخارجي ووفقا للأفعال والأقوال، ونرى أنه قد حدد بعض المهارات والصفات كمؤشر على الذكاء أو الموهبة أيضا، ويبدو أنه اتبع نفس الطريقة الحديثة في تصنيف الموهوبين، كما أن اعتباره أن الذكاء هو أقوى المؤشرات على الموهبة حيث استخدم نفس المصطلح (الأذكياء) ليدل على الموهبة، يتوافق مع من اعتبر ذي الذكاء المرتفع وفقا لمقاييس الذكاء موهوبا كتيرمان (Terman) وجيلفورد (Guilford).

٣. من حيث الخصائص:

ذكر ابن الجوزي أن الأذكياء يتميزون من الناحية المعرفية سرعة الفهم وحدته (دقته) وتمام الفطنة والتفكر والتدبر في الأشياء. وهذا يتوافق مع بعض ما أشارت إليه نتائج الدراسات التي أجريت بهدف تحديد خصائص الموهوبين العقلية والمعرفية إلى أنهم أكثر قابلية للتعلم من مستوى متميز، وتتمثل هذه القابلية في الإدراك الصحيح لمواقف والإحداث الاجتماعية والطبيعة والتعلم المستقل والسريع والفعال للحقائق والقوانين، والقدرة المتميزة فيما يتصل بالتذكر واسترجاع المعلومات. (الخطيب، الحديدي،١٩٩٧). كما أنهم أكثر انتباها وحبا للاستطلاع، وأكثر سرعة في حل المشكلات التعليمية، وأكثر طرحا للأسئلة التي تفوق عمرهم،

وأكثر دقة واستجابة للأسئلة المطروحة عليهم. (الروسان، ١٩٩٨). ويظهرون كذلك إبداعا أو تفكيرا منتجا مقارنة بأقرانهم من غير الموهوبين. (القريوتي، السرطاوي، الصمادي.٢٠٠١).

أما ما ذكره ابن الجوزي من حيث الخصائص الجسدية للأذكياء على أنهم يتميزون بالخَلق المعتدل والبنية المتناسبة (المتناسقة)، واختيارهم للأنسب من مأكل ومشرب وملبس ، وأنهم يتركون ما يخافون ضرره، بمعنى أنهم يحافظون على صحة أجسادهم، فيتوافق كذلك مع العديد مما أشارت إليه نتائج الدراسات الحديثة إلى أنهم يتميزون بأنهم أكثر صحة ووزنا وطولا ووسامة وحيوية، وقد اثبتت نتائج تلك الدراسات أيضا تفوق الموهوبين على العاديين في خصائصهم الجسدية. (الروسان، ١٩٩٨). كما أنهم يتميزون بصحة جيدة وأنهم حافظوا على تفوقهم الجسمي والصحي. (القريوتي، السرطاوي، الصمادي.٢٠٠١). عدا أنهم أعلى من المتوسط من حيث سلامة القوام والسلامة الصحية.(الخطيب، الحديدي،١٩٩٧)

ذكر ابن الجوزي صفات اجتماعية للأذكياء من مثل اختيارهم للأنسب من الأقوال والأفعال، والسكوت والسكون والحركات اللائقة المتناسقة وخفض البصر، ومراقبتهم للعواقب، واستعدادهم لما يمكن وقوعه؛ مما يشير إلى أنهم أكثر استقرار من الناحية الاجتماعية، وأنهم أكثر اهتماما بالجوانب القيمية والأخلاقية، وهذا ينسجم مع بعض ما أشارت إليه نتائج الدراسات الحديثة في أنهم أكثر اندماجا من الناحية الاجتماعية، وأكثر قدرة على القيادة، وأكثر قدرة على حل المشكلات الاجتماعية، كما أنهم محبوبون من أقرانهم، وهم مستقرون انفعاليا ولديهم مفهوما ايجابيا عن ذاتهم، وأنهم أكثر التزاما بالمنظومات القيمية وأكثر اهتماما بالجوانب الخُلقية مقارنة بأقرانهم من متوسطي الذكاء. (القريوتي، السرطاوي، الصمادي.٢٠٠١). وكذلك فهم أكثر شعبية وأكثر رتبة في سلم الوظائف والأعمال، عدا أنهم متعددي الاهتمامات وأكثر استقرارا من الناحيتين الانفعالية والاجتماعية. (الروسان، ١٩٩٨).

ثالثا: من حيث بعض مبادئ التربية الخاصة: أشار ابن الجوزي إلى مبدأين هامين من مبادئ التربية الخاصة، وهما:

١. مبدأ الفروق الفردية، وعليه فقد اعتبر أن الحمق درجات، وكذلك الذكاء درجات، واستخدم لذلك مصطلح العقل. فيقول:" فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوا منه؛ فلهذا يتفاوت الحمق". (أخبار الحمقى والمغفلين. ص،٣٠).

يعتبر مبدأ الفروق الفردية مبدأ مهما من مبادئ التربية الخاصة، والذي اعتبر أحد المبادئ للنظر إلى المعوقين والموهوبين، والذي على أساسه نادت بضرورة إتاحة كافة الفرص للأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة للتعلم كل وفقا لقدراته وإمكاناته. (Kirk & Gallagher, 1983).

٢. مبدأ أن الإعاقة العقلية غريزة (كينونة ، وراثة)، ويؤكد أنها غير قابلة للشفاء. فقد سرد العديد من الروايات والأقوال ليدلل على ذلك المبدأ، فيروي عن ابن إسحاق أنه قال:"... وإذا بلغك أن أحمقا استفاد عقلا فلا تصدق". ويذكر رواية للأوزاعي أن الناس سألوا عيسى بن مريم" ... ، قيل: فما دواء الحمق؟ قال: هذا الذي أعياني".

وهذا يتوافق مع النظرة في التربية الخاصة للمعوقين عقليا، بأنهم غير قابلين للشفاء، وأن الإعاقة العقلية تعود لأسباب تكوينية وراثية. مثل، تعريف دول (Doll) الذي نص على" أن الفرد المتخلف عقليا هو الذي يتصف بعدم الكفاية الاجتماعية، وتدني القدرة العقلية، ويظهر خلال فترة النمو، ويستمر حتى مرحلة النضج، ويعود إلى أسباب تكوينية، وأنه غير قابل للشفاء". (القريوتي، السرطاوي، الصمادي.٢٠٠١).

السؤال الخامس : ما مدى ارتباط الكتابين محل الدراسة بميدان التربية الخاصة؟

يشير التحليل العام للكتابين إلى تشابه كبير بينهما وكأنهما مختصان في نفس الميدان، ففي مقدمتهما ذكر الأسباب التي دعته إلى تأليفهما، وفي الأبواب الأربعة الأولى من كلا الكتابين ناقش المفاهيم الرئيسية، حيث ذكر في كتاب "اخبار الأذكياء" ماهية العقل وفضله ومحله، وفرّق بين الفهم والذهن والذكاء، وحدد العلامات (الصفات أو الخصائص) التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي. وفي كتاب " أخبار الحمقى والمغفلين" فقد ذكر معنى الحماقة والتغفيل، وطبيعتها الغريزية، واختلاف الناس حول الحماقة ، ثم يسرد الأسماء التي عرفت للأحمق في وقته ، ثم يحدد في الباب الخامس صفات (علامات أو خصائص) الأحمق. ثم في كلا الكتابين يحث على مجالسة ومرافقة الأذكياء ويحذر من مجالسة ومرافقة الحمقى والمغفلين. أما بقية أبواب الكتابين مع اختلاف عددها في كلا الكتابين فقد كرسها لذكر أخبار الفئتين، ففي كتاب "أخبار الأذكياء" والذي بلغ عدد أبوابه (٣٣) بابا ذكر في كل الأبواب أنماطا مختلفة من السلوك الذكي للأنبياء والصحابة والوزراء والسلاطين والولاة والعلماء والقضاة والزهاد، عدا أنه أشار إلى أنماط ذكاء بعض الحيوانات. وفي كتاب " أخبار الحمقى والمغفلين" والذي بلغ عدد أبوابه (٢٤) بابا ذكر كذلك أخبار الحمقى والمغفلين من الأمراء والولاة والقضاة والقرّاء ورواة الحديث والمعلمين وغيرهم.

يمكن اعتبار أن الكتابين مرتبطان بميدان التربية الخاصة للأسباب التالية:

١. العنونة للكتابين، فالمعوقون عقليا أطلقت عليهم العديد من المسميات عبر التاريخ، ومن تلك المسميات الأحمق والمجنون التي استخدمها ابن الجوزي عنوانا للكتاب الأول، وكذلك الأذكياء فهو مصطلح ما زال يستخدم للتعبير عن الموهوبين حتى وقتنا الحالي، وهو ما استخدمه عنوانا للكتاب الثاني.

٢. المنهجية في التأليف: إن المنهجية التي استخدمها ابن الجوزي في تأليف كلا الكتابين متشابهة جدا، فقد بدأ بالتعريفات وتحديد المفاهيم كما استشهد بالأحاديث النبوية، وبآراء العلماء كالأوزاعي، والأطباء كجالينوس، واللغويين كابن الأعرابي في تحديد المفاهيم ، ثم ذكر الخصائص والصفات، بعدها ضرب الأمثلة زيادة في التوضيح، مما يدلل على أنه كان يبحث في ميدان واحد محدد.

٣. استخدامه لبعض المعايير التي تشابهت مع المعايير المعاصرة عندما حدد خصائص الحمقى وخصائص الأذكياء وهما "معيار الصورة، ومعيار الخصال والأفعال" وكذلك التفريع الذي قام به لتوضيح تلك الخصائص لكلا الفئتين فقد كان متشابهة كذلك .

٤. محاولته لإرجاع سبب الحمق والذكاء إلى الغريزة (الكينونة ، الوراثة) ، حيث أفرد الباب الثاني من كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" للحديث عن أن الحمق غريزة، فيقول:" أن الحمق فساد في العقل أو في الذهن، وما كان موضوعا في أصل الجوهر، فهو غريزة لا ينفعها التأديب، وإنما ينتفع بالرياضة والتأديب من أصل جوهره سليم، فتدفع الرياضة العوارض المفسدة." (ص،٣٠). وكذلك أفرد الباب الثاني من كتاب "أخبار الأذكياء" لتحديد ماهية العقل وأنه غريزة، وأن مكانه الدماغ ، فيقول: " هو الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء".(ص، ١٣). "وأن محله الدماغ". (ص،١٤).

٥. أشار إلى مبدأ الفروق الفردية في الباب الثالث من كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" وأكد أن الناس يتفاوتون في مقدار ما أعطوا من العقل، فيقول:" وبعد، فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوا

منه؛ فلهذا يتفاوت الحمق". (ص،٣٠). ويعتبر مبدأ الفروق الفردية مبدأ هاما من مبادئ التربية الخاصة.

٦. إن ما أشارت إليه نتائج هذه الدراسة بعد الإجابة عن أسئلتها، ووجود مفهوم محدد وخصائص وتصنيف للموهوبين والمعوقين عقليا لدى ابن الجوزي يؤيد ارتباط هذين الكتابين بميدان التربية الخاصة.

مناقشة النتائج:

أشار ابن الجوزي في كتابيه كإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة بشكل مباشر إلى ثلاث فئات من فئات التربية الخاصة هي (الحمقى والمغفلين، المجانين، الأذكياء). وهنا تجدر الإشارة إلى أنه حتى وإن اختلفت تسمية تلك الفئات وهي التي كانت معروفة في ذلك الوقت (أحمق ومغفل، مجنون). وقد أشار (الروسان، ١٩٩٨) إلى أن مثل هذه التسميات قد اعتبرت من المصطلحات القديمة التي تعبر عن مفهوم الإعاقة العقلية في وقتنا الحالي.

وللتأكد من أن ابن الجوزي قد قصد بالحمق والغفلة والجنون أنواعا من المشكلات الذهنية التي تؤدي إلى اعتبارها إعاقة عقلية في مفهومنا الحالي؛ يمكننا الرجوع إلى التفريق الذي أجراه بين الأحمق والمجنون لتحديد الفئتين حيث عرفهما بقوله: " معنى الحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف المجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد ورويته في الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيح، والمجنون أصل إشارته فاسدة، فهو يختار ما لا يختار" (أخبار الحمقى والمغفلين. ص٢٨).

فالأحمق أو المغفل حسب التعريف السابق يدرك هدفه ويحاول الوصول إليه، ولكنه يختار أساليب غير صحيحة لا تقوده إلى هدفه. أما المجنون فهو لا يستطيع إدراك هدفه ولا ينجح في اختيار الأساليب التي توصله إليه. فقد يكون الأحمق في

التعريف السابق يشير إلى فئة بطء التعلم وهي الفئة الأولى في التصنيف التربوي للإعاقة العقلية كون الفرد بطيء التعلم لم يفقد القدرة العقلية تماما ويعرف ما يريد ولكن نسبة ذكائه لا تقوده إلى تحقيق المطلوب، والوصول إلى الهدف المنشود، وقد يندرج تحتها أيضا ذوي الإعاقة العقلية البسيطة فقد ذكر ابن الجوزي خصائص الحمقى والتي تشير إلى بعض خصائص المعوقين عقليا في وقتنا الحالي وليست لبطء التعلم، كذكر الصفات الجسدية للأفراد الذين يعانون من "متلازمة داون" ويصنفهم على أنهم حمقى؛ في حين أن الأفراد ذوي متلازمة داون يصنفون ضمن فئة الإعاقة العقلية. أما المجنون فقد يكون المعوق عقليا متوسط أو شديد الإعاقة الذي فقد القدرة العقلية، فهو لا يهتدي إلى الطريقة أو الأسلوب ولا إلى الهدف أو المقصود، وعليه يندرج تحت هذين التعريفين عددا كبيرا من الذين يعانون مشكلات عقلية، على اختلاف مستوياتها.

كانت الفئة الثالثة التي ذكرها ابن الجوزي هي فئة الأذكياء والذي قام بتحديد مفهوم الذكاء بأنه : " جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه، بمعنى سرعة الفهم وحدته، ...، وهو تمام الفهم، ...، ويقال فلان ذكي، معناه: كامل الفطنة تامّها. (أخبار الأذكياء. ص،١٥)

هناك تقارب بين مفهوم الأذكياء لدى ابن الجوزي ومفهوم الموهوبين في ميدان التربية الخاصة في الوقت الحالي،حيث تعتبر نسبة الذكاء العالية إحدى الأبعاد التي تحدد الموهوبين عن غيرهم من العاديين، ويعبر عنها عند تعريف الموهوبين بالقدرات العقلية العالية كما ورد في التعريف الحديث للموهوبين. (الروسان، ١٩٩٨،ص،٤٧). كذلك فإن سرعة الفهم ودقته وتمامه وكماله الذي ذكره ابن الجوزي يُعبر عنها في التربية الخاصة بالقابلية للتعلم. وتتمثل هذه القابلية كما أشار(الخطيب، الحديدي،١٩٩٧) في الإدراك الصحيح للمواقف والإحداث الاجتماعية والطبيعة والتعلم المستقل والسريع والفعال للحقائق والقوانين.

أما فيما يخص السؤال الثاني من أسئلة الدراسة حول وجود تصنيف محدد للموهوبين وللمعوقين عقليا، فقد اقترح ابن الجوزي تصنيفا محددا للمعوقين عقليا وتصنيفا محددا للموهوبين وذلك استنادا على معايير محددة، وأسلوبه هذا في التصنيف يضعه في مصاف التربويين الحاليين الذي اهتموا بتصنيف الأفراد؛ فاعتماد معايير محددة للتصنيف منهج معروف في كافة العلوم، وهذا ما اتبعه التربويون في الوقت الحالي في تصنيف فئات التربية الخاصة وعلى رأسها الإعاقة العقلية، وكذلك في تحديد خصائص للموهوبين على اعتبارها معايير للحكم على الموهبة والتفوق.

وكإجابة على السؤال الثالث فيما يتعلق بالخصائص التي حددها ابن الجوزي والتي أشارت إليها نتائج الدراسة، نرى أن ابن الجوزي قد حدد عددا من الخصائص للموهوبين والمعوقين عقليا، استمدها من مشاهداته ومن خبرات وأقوال العلماء والأطباء واللغويين، ومن الروايات التي سردها على أساس أنها استشهاد لخصيصة من الخصائص. وعادة ما تحتاج هذه الخصائص إلى دراستها بشكل علمي للتأكد من حقيقة انطباقها على الموهوبين و المعوقين عقليا؛ فبعض الروايات قد تفتقر إلى الحقيقة أو المصداقية العلمية.

إن التوافق في العديد من القضايا بين آراء ابن الجوزي وميدان التربية الخاصة والتي أشارت إليها نتائج الإجابة عن السؤال الرابع، كالتوافق في بعض المفاهيم وبعض الخصائص وفي بعض التصنيفات للمعوقين عقليا والموهوبين؛ يجعل من ابن الجوزي مهتما بميدان التربية الخاصة وباحثا فيه. وليس شرطا أن تتوافق آراء ابن الجوزي مع كافة مفاهيم التربية الخاصة وتفريعاتها، فمستوى البحث العلمي في عصر ابن الجوزي في القضايا التربوية، وعدم معرفة ذلك الميدان بهذا المسمى في ذلك الوقت، والاختلافات بين التربويين في مفاهيم وقضايا التربية الخاصة في وقتنا الحالي، تجعل من حكم الباحث على ابن الجوزي كباحث ومهتم بميدان التربية الخاصة حكما مقبولا.

أشارت نتائج تحليل الكتابين للإجابة عن السؤال الخامس، إلى أنه يمكن اعتبارهما مرتبطان بميدان التربية الخاصة، وذلك وفقا لعناوين الكتابين ، وذكره لبعض القضايا التي تهتم بها التربية الخاصة كمبدأ الفروق الفردية والغريزية (الوراثة) وأخيرا وفقا للمنهجية التي اتبعها ابن الجوزي في تأليف الكتابين، ومدى التشابه في تلك المنهجية في الكتابين، وقد أكد ذلك التشابه نتائج الدراسة التحليلية لكتاب " أخبار الأذكياء" التي أجراها (صالح، ١٩٨٦)، بعنوان " تربية العقل عند ابن الجوزي" ، حيث قال: " وهناك تشابه إلى حد كبير بين كتاب الأذكياء وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين، فكل منهما يستهل بذكر الأسباب التي دعت ابن الجوزي إلى تأليفه. ويناقش ابن الجوزي في الأبواب الخمس الأولى معني الحماقة وطبيعتها واختلاف الناس فيها ثم يسرد أسماء وصفات الأحمق ويحذر من صحبة الأحمق في وهو في هذا منسجم مع نفسه عندما دعا في كتاب الأذكياء إلى تلقيح اذهان السامعين بأخبار الأذكياء". (ص،٢٦- ٣٧)

كما أن مبدأ الفروق الفردية مبدأ الذي أشار إليه ابن الجوزي تحت مسمى " التفاوت" بين الناس، هو مبدأ أساس من مبادئ التربية الخاصة، وقد أكدت ذلك جمع الدراسات التي أجريت في ميدان التربية الخاصة. (Heward, W. & Orlansky, M. 1985)

وتعتبر الوراثة كذلك، والتي أشار إليها ابن الجوزي بالغريزة ، هي من الأسباب الرئيسة لظهور الموهبة وظهور الإعاقة العقلية. فقد أشار (يحيى، عبيد، ٢٠٠٥) إلى أن الوراثة من الأسباب الجينية التي تشترك مع الخلل في الكروموسومات في ظهور الإعاقة العقلية، والوراثة هي المسئولة عن حوالي (٨٠٪) من حالات الإعاقة العقلية. وكذلك فالوراثة هي من أهم أسباب ظهور الموهبة، كما ذكر(الخطيب، الحديدي،١٩٩٧) أن جالتون كان أول من طرح فكرة موروثية الذكاء، وأنه ومنذ ذلك الوقت لا يزال العلماء يعتبرون أن الوراثة تلعب دورا هاما في تطور القدرات العقلية المتميزة.

توصيات الدراسة:

توصي الدراسة بتوسيع البحث وتعميقه في الإنتاج العلمي للمفكرين المسلمين الأوائل في المجالات التربوية بعامة وفي مجال التربية الخاصة على وجه الخصوص.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن. أخبار الأذكياء. تحقيق الداني بن منير آل زهوي (٢٠٠٦)، المكتبة العصرية: بيروت.

٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن. أخبار الحمقى والمغفلين. تحقيق د. عزيزة فوال (٢٠٠٦)، دار الكتاب العربي : بيروت.

٣. الخطيب، جمال. الحديدي، منى، (١٩٩٧). المدخل الى التربية الخاصة. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. الكويت، الكويت.

٤. الروسان، فاروق،(١٩٩٨). سيكولوجية الأطفال غير العاديين. دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر. عمان ، الأردن.

٥. الصنيع، صالح، (١٩٩٥)." تأصيل المقررات الدراسية في علم النفس" مجلة رسالة التربية وعلم النفس، العدد (٥): الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية - جامعة الملك سعود.

٦. القاسم، جمال (١٩٨٧). "تربية المعوقين في القرآن الكريم والحديث الشريف". رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب، جامعة اليرموك. إربد - الأردن.

٧. القاسم، جمال (١٩٩٩). المدخل الى علم النفس التربوي. دار صفاء للطباعة والتوزيع والنشر. عمان ، الأردن.

٨. القريوتي، يوسف. السرطاوي، عبد العزيز. الصمادي، جميل، (٢٠٠١). المدخل إلى التربية الخاصة. دار القلم للنشر والتوزيع. دبي، الإمارات العربية المتحدة.

٩. المعهد العالمي للفكر الإسلامي،(١٩٨٧). "المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية". بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي. سلسة المنهجية الإسلامية (٢)، الجزء الأول.

١٠. صالح، عبد الرحمن،(١٩٨٦). ابن الجوزي وتربية العقل. شركة مكة للطباعة والنشر. مكة، المملكة العربية السعودية.

١١. عبيد، ماجدة،(٢٠٠٠). تربية الموهوبين والمتفوقين. دار صفاء للطباعة والتوزيع والنشر. عمان ، الأردن.

المراجع الأجنبية:

1. Heward, W. & Orlansky, M.(1985). Exceptional Children. Charles ,E. Merrill Publishing Co. USA.
2. Kirk, S .& Gallagher, J.(1983). Educating Exceptional Children. Houghton Mifflin Co . Boston, USA.